مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية

مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية

المجلد13/العدد: 01 (2023)،
ص 537-553

مبدأ الأولويات وتأثيره على العلاقة بين قيادات الثورة 1956-1957

The principle of priorities and its impact on the relationship between leaders of the revolution 1956-1957

بوسعيد عصام* جويبة عبد الكامل

[1] جامعة محمد بوضياف - المسيلة issam.boussaid@univ-msila.dz

[2] جامعة محمد بوضياف - المسيلة abdelkamel.djouiba@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2022/11/05 تاريخ القبول: 2023/04/12 تاريخ النشر: 2023/06/08

ملخص :

تهدف هذه الدراسة للوقوف على معالجة مسألة تاريخية ومفصلية مهمة عرفتها الثورة الجزائريةعقب مؤتمر الصومام 1956م وهي مبدأ الأولويات وتأثيرها على العلاقة بين قيادات الثورة ولفهم هذه الثنائية حاولنا معالجة الخلفية التاريخية لإقرارها وتبيان أسباب ذلك لكونها تمثل إشكالية عميقة إذا ما نظرنا إليها من وجهة نظر تاريخية وبالتالي معرفة موقف قادة الثورة من هذا القرار وتأثيره وكل ذلك بغية الإجابة على حرارة الجدل الذي لا يزال قائم عند تناول هذه الثنائية.

كلمات مفتاحية : مبدأ الأولويات، مؤتمر الصومام، الثورة الجزائرية، السياسي والعسكري، الداخل والخارج.

Abstract:

*المؤلف المرسل: بوسعيد عصام الإيميل: issam.boussaid@univ-msila.dz

This study aims to identify an important historical and articulated issue known to the Algerian revolution after the 1956 Somam conference, which is the principle of priorities and its impact on the relationship between the leaders of the revolution. Thus, knowing the position of the leaders of the revolution on this decision and its impact, all in order to answer the heat of controversy that still exists when dealing with this duality.

Keywords: the principle of priorities, the Somnam conference, the Algerian revolution, political and military, inside and outside.

Résumé :

Cette étude vise à identifier un enjeu historique et articulé important connu de la révolution algérienne après la conférence de la Somam de 1956, qui est le principe des priorités et son impact sur les relations entre les leaders de la révolution. Ainsi, connaissant la position des dirigeants de la révolution sur cette décision et son impact, tout cela dans le but de répondre à la chaleur de la polémique qui existe encore face à cette dualité.

Mots-clés : le principe des priorités, la conférence de Somnam, la révolution algérienne, politique et militaire, à l'intérieur et à l'extérieur.

مقدمة :

يعتبر مؤتمر الصومام حدثا مهما وبداية مرحلة حاسمة في تاريخ الثورة التحريرية، وتظهر أهميته في أنه أول محاولة لإعطاء مفهوم متماسك للثورة فقد أوضح ميثاقه أهداف ومبادئ الكفاح التحرري لمواجهة التحديات وفق متغيرات جديدة داخليا وخارجيا طرحا بذلك عدة إشكالات، ومحاولا تقديم إجابات عنها ومن جملة الإشكالات التي طرحها ثنائية الكفاح بإقراره أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج كمبدأ ينظم العلاقة بين جبهة وجيش التحرير الوطني من جهة وبين القيادة القائمة في الجزائر والوفد المقيم في القاهرة من جهة أخرى، ما أحدث نقاشا وتضارب في المفاهيم والتصورات ادى إلى تغيير موازين القوى في العلاقة بين قيادات الثورة لكون مستويات فهمه سادها الغموض ولم تكن واحدة لدى القادة وهذا ما يدفعنا لطرح الإشكال التالي:

- ما هي الخلفية التي انطلق منها واضعوا مبدأ الأولويات وهل كان إقراره نذير شؤم وبداية فتيل صراع بين قيادات الثورة؟.

وللإجابة على هذا الإشكال عالجنا ثلاث محاور رئيسية تناولنا فيها مؤتمر الصومام وخلفية إقرار مبدأ الأولويات ثم تضارب المواقف من أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج وتأثيرها على الثورة وصولا إلى مبدأ إلغاء الأولويات و تصفية عبان رمضان، الخاتمة فكانت تحصيل للنتائج التي توصلت لها، أما منهجية الدراسة، فطبيعة الدراسة تطلبت الإعتماد على المنهج التاريخي والوصفي إضافة الى المنهج التحليلي.

1 - مؤتمر الصومام وخلفية إقرار مبدأ الأولويات:

بعد مرور عامين على اندلاع الثورة المسلحة نتيجة لتطورها وتبني الجماهير لها، لاسيما في الريف كان على قادة الثورة العسكريين والسياسيين ان يجدوا صيغة تنظيمية تلبي الحاجيات الحقيقية للمرحلة القادمة، وبالتالي تستجيب لتطلعات المعركة على الصعيدين العسكري والسياسي، فرأى قادة الثورة أنه من الضروري عقد مؤتمر لدراسة الوضع والتقييم عامين من الكفاح المسلح فشكل بذلك مؤتمر الصومام تحولا في الكفاح الثوري، واستراتيجية جديدة للخروج من المأزق الاستعماري الذي حاول أن يعزلها في الداخل والخارج.

عقد هذا المؤتمر يوم الاثنين 20 أغسطس 1956م بعد عامين من الحرب الجزائرية (Johnson, 2016, p. 13).

بمنزل السيد السعيد محمد أمقران وهو مناضل قديم بالمنطقة، حيث كلف القائد عميروش مساعده المجاهد أحميمي بحراسة المكان رفقة عدد كبير من المجاهدين (بوعزيز، 2004، صفحة 75.).

بقرية إيفري أوزلاقن بالمنطقة الثالثة الواقعة بالضبط في حوض الصومام (واعلي، 2011، صفحة 347.).

وقد حضر هذا المؤتمر مسؤولي المناطق الثورية وهم زيغود يوسف ونوابه لخضر بن طوبال علي كافي من المنطقة الثانية (إحدادن، 2007، صفحة 29.)، كريم بلقاسم من المنطقة الثالثة القبائل، عمر أوعمران من المنطقة الرابعة الجزائر، العربي بن مهيدي من المنطقة الخامسة وقد ترأس المؤتمر عبان رمضان عن جبهة التحرير الوطني مدينة الجزائر الذي كان مقررا ومحررة للوقائع (بلحسين، 2004، صفحة 54.).

في حين بقي الوفد الخارجي ينتظر في سان ريمو بإيطاليا ثم طرابلس إشارة من أجل حضور المؤتمر خاصة وأن حضور هؤلاء يستلزم حيطة كبيرة الأمر الذي حتم على أعضاء الوفد التريث والانتظار حتى يتوفر الأمن (زغيدي، د ت، صفحة 142.).

أما عن عدم حضور المنطقة الأولى لأشغال المؤتمر يقول أحمد محساس بأن المنطقة مهمشه من طرف عبان ورفاقه ولم تشارك في المؤتمر، وذلك لطبيعة مناضليها الذين يرفضون قرارات المؤتمر (محساس، 2008، صفحة .12).

أما سبب غياب المنطقة الأولى راجع إلى استشهاد قائدها مصطفى بن بولعيد.

عقد هذا المؤتمر عقب هجومات 20 اوت 1955م والتي أحدثت هزة بسيكولوجية عنيفة في صفوف الفرنسيين، وادت الى التحام الشعب حول ثورته فقد شكل هذا المؤتمر نقطة تحول، وأفرز منهجا وميثاقا أطر الثورة ونظم هياكلها بقوانين وضوابط سارت عليها ودفعها من عهد الارتباك في القيادة والاضطراب في السياسة إلى عهد التنظيم من خلال إعطاء مفهوم متماسك للثورة، وذلك نتيجة القرارات التي أعقبته.

فقد خرج المؤتمر بعدة قرارات منها أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج مع مبدأ القيادة الجماعية. (بلحسين، 2004، صفحة .54)

وعليه هذه القرارات او الأولويات داخل الصومام جاءت نظرا لعدة خلفيات من بينها التركيبة البشرية والايديولوجية غير المتجانسة التي عرفها المؤتمر والتي ستعرفها الثورة فيما بعد فقد ضم المؤتمر مزيجا من الأيدولوجيات.

إذ انضم الى جبهة التحرير الوطني العديد من المناضلين، من مختلف التيارات السياسية المترددة، فبين خريف 1955م وربيع 1956م انضم الى الجبهة أعضاء من اللجنة المركزية وأعضاء من حزب فرحات عباس وجمعية العلماء (بن خدة، 2004، صفحة .60).

وبالتالي إعطاء فرصة للأحزاب والشخصيات السياسية التي تخلفت عن ركب الثورة كي تلتحق بها والاستفادة منها في عملية التفاوض مستقبلا.

وهذا راجع الى ثقافة عبان رمضان وجماعته، كان متأثر بقيم الجمهورية التي كانت سائدة في ذلك الوقت ومنتشرة في أوساط جماعة أحباب البيان والمثقفين اليساريين والبرجوازيين. (Store, 1989, p. 31)

كما لعبت كذلك الخلفية التاريخية دور في إعادة بعث جدلية هذه المبادئ، خاصة أولوية السياسي على العسكري فهذه القضية جذورها تعود الى ما قبل الثورة عندما احتدم الصراع بين أنصار العمل المسلح وأنصار العمل السياسي.

فحسب خالفة معمري أولوية السياسي على العسكري جذوره مستمدة من المنظمة الخاصة (خالفة، 2008، صفحة .346).

فمؤتمر الصومام راجع إلى هذه الخلفية، كما لعب خروج شباب الخدمة العسكرية من الفرنسيين يوم 28 سبتمبر 1955م بباريس في مظاهرات ضد الحرب في الجزائر، ودخول القضية الجزائرية ساحة التدويل بفضل مؤتمر باندونغ من 18 الى 26 ابريل 1955م والأمم المتحدة 30 سبتمبر 1955م دور في إقرار هذا المبدأ (جيار، د ت، صفحة .27).

فما يلاحظ على معدي وثيقة الصومام وبالخصوص مبدأ أولوية السياسي على العسكري أنهم كانوا متابعين للمحيط الدولي ومجرياته على جميع المستويات الاقليمية والقارية والدولية خاصة ما له علاقة بحركات التحرر العالمية (زغيدي، د ت، صفحة .200).

وعليه في الخلفية السياسية كذلك لعبت دور في إقرار هذا المبدأ أولوية السياسي على العسكري وكان هدفه تضخيم صدى الأحداث الواقعة في الداخل على الساحة الدولية في الجانب السياسي لكسب المزيد من التعاطف وترقية الدول المتعاطفة مع الجزائري الى مستوى التضامن واتخاذ إجراءات وقرارات ملموسة تدعم الثورة في الداخل.

فالأحداث في الداخل هي التي تعطي للثورة الإشعاع في الخارج وهي التي تصنع المواقف وتكسب الأنصار للقضية الجزائرية، بالتنديد والاستنكار والتأكيد على حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره بنفسه (عثماني، 2012، صفحة .250).

ومن جهة أخرى كان لابد من إضفاء غطاء سياسي على العمليات الحربية التي تعد بمثابة وسيلة ضغط في يد المفاوض الجزائري (لونيسي، د ت، صفحة .15)، خاصة وأن جيش التحرير الوطني ليس بمقدوره أن يدير وحدة العمليات العسكرية في الميدان، ويشرف في ذات الوقت على التسيير السياسي للجماهير داخل الجزائر وفي أوساط الجالية المقيمة في فرنسا (جيار، د ت، صفحة .120).

وفي هذا الاطار كان التفاوض كعمل سلمي خطوة لاحقة للكفاح المسلح وليس سابقة له خاصة بعد أن اكتسبت القضية الجزائرية بعدا دوليا، لم يعد احتمال الشروع في مفاوضات من أجل السلم أمرا مستبعدا ونتيجة لذلك كان لابد من الاعداد لذلك (جيار، د ت، صفحة .118).

خاصة بعد انضمام الطلبة للثورة كإطارات مثقفة جعل عبان يخطو هذه الخطوة، بهدف مضاعفة وتقوية البعثات الدبلوماسية عبر مختلف بقاع العالم من أجل كسب الدعم وتعاطف الدولي للقضية

الجزائرية فهذه القرارات جاءت شامله نتيجة لتطورات الفترة الراهنة آنذاك، ولكسب التحديات الداخلية والخارجية وبالتالي القضاء على الاستعمار الفرنسي.

أما أولوية الداخل على الخارج سببها ما جاء في التقرير الذي عرضه العربي بن مهيدي على المؤتمرين عن المهمة التي قام بها في القاهرة مستهل سنة 1956م حيث جاء فيه أنه لا يمكن الاعتماد على مصر في الحصول على الأسلحة لأن موقفها من الثورة الجزائرية يخضع بقسط وافر الى نشاطها الدبلوماسي، وكذلك بسبب الانقسام السائد داخل الوفد الخارجي بفعل قيام كل واحد منهم بالبحث عن الزعامة لنفسه (لونيسي، 2015، صفحة .49).

كما أن الوفد الخارجي نجده كان يخطط لتكوين قيادة موحدة في الخارج لتقود الثورة دون الرجوع الى الداخل وهذا ما يؤكد أحمد توفيق المدني، في جلسة يوم 2 جوان 1956م كلمنا بن بلة عن وجوب النظر الجدي في أمر تكوين حكومة جزائرية مؤقتة وأكد لنا أنه يوجد الآن أمل كبير في اعتراف عدد من الحكومات العربية والغير العربية بهذه الحكومة (المدني، 2009، صفحة .227)، وفي جلسة 3 جوان 1956م تقرر من جديد أن تشكل لجنة تنفيذية تباشر الأمور المستعجلة (المدني، 2009، صفحة .229).

وهذا ما جعل عباد رمضان يفرض مبدأ الأولوية للمناضلين داخل الجزائر على حساب المناضلين بالخارج وقد وضح هذه النقطة للوفد الخارجي، في رسالته المؤرخة في 23 سبتمبر 1956م حيث يذكر بأن أولوية الداخل على الخارج من المسلمات وان قيادة الجبهة يجب أن تكون بالجزائر (زوزو، 2004، صفحة 487)، فالمنطق يقول ان الخارج يتبع الداخل لكون الوفد الخارجي لا يعلم بتطورات الثورة بالداخل وصعوبة قيادة الثورة من الخارج بسبب مشكل الاتصال (عباس، 2007، صفحة .339).

فخلفية هذا القرار نجدها رجعت إلى الصراعات التي كانت بين الوفد الخارجي وعبان رمضان قبل انعقاد مؤتمر الصومام.

ففي مراسلته للوفد الخارجي بتاريخ 20 سبتمبر 1955م نجده يصدر أمر للوفد الخارجي بعدم التكلم باسم الثورة في الخارج ثم يتجرأ على إنهاء تفويضهم الصادر عن محمد بوضياف بتاريخ 29 أكتوبر 1954م، وذلك بقوله أن بن بلة ليس هو ممثل جيش وجبهة التحرير في القاهرة ولا اي احد ولا بوضياف ولا آيت أحمد ولا خيضر ولا اليزيد ولا لحول ويواصل تحذيره لهم بقوله لا تقمصوا من الان أدوار السفراء والوزراء والقادة الكبار (هلايلي، 2012، صفحة .265)، وبالتالي يعتبرهم مجرد مهاجرين مكلفين بمهمة.

يمكن القول ان هدف عبان من إقرار مبدأ أولوية الداخل على الخارج إبقاء الجماهير مرتبطة بالثورة ومحتضنة لها وإبعاد قادتها من التأثيرات الإقليمية والعربية والدولية.

وقد أثبت تطور الثورة فيما بعد استشراف واضعي هذا المبدأ لأن الخارج تحول الى بؤرة استقطاب وجذب للقادة، خاصة بعد سنة 1957م وأصبح بعد سنة 1960م مرتعا للصراعات الأكثر خطورة في صفوف القيادة العليا للثورة (خثير، 2005-2006، صفحة .155).

2 - تضارب المواقف من أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج وتأثيرها على الثورة:

انتهى اجتماع واد الصومام بالخروج بعده قرارات تنظيمية وعسكرية وسياسية، وعلى الرغم من الأهمية التي تولها إياه الكتابات التاريخية على مختلف مشارب اصحابها الا ان هذه القرارات أحدثت ردود أفعال، وكانت منعرجا في العلاقات بين القادة الذين تحولوا من التركيز على المواجهة المسلحة مع القوات الاستعمارية إلى البحث عن وسائل لتثبيت مواقعهم داخل هيئات السياسية والعسكرية للثورة.

فالخلاف التاريخي بين قادة الثورة عقب مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م لا يمكن فهمه إلا بربطه بظروفه حسب عبد الحميد مهري، لأن خروجه بمبدأين اثنين يتعلقان بأولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج لم يتقبله قادة الثورة الآخرون (مهري، 2006، صفحة .14).

وجعل مواقفهم متباينة من هذا القرار فحسب حسين آيت أحمد لم يعارض الفكرة أبدا بل كان يرى فيها أنها وضعت حد لمصر التي تتدخل في توجيه الثورة من الخارج، ووضع حد الزعامة أحمد بن بلة المستمدة من دعم المصريين له (حربي، 1983، صفحة .160).

فالهدف منه هو الاحتياط للقيادة في الداخل من إمكانية سيطرة الوفد الخارجي عليها وكان هذا المبدأ قد كرس من قبل عبان رمضان (زروال، 2007، صفحة .33)، فحسب سليمان الشيخ فإن مبدأ أولوية الداخل على الخارج يشتمل على معنيين فهو يوضح أولا أولوية المعركة الداخلية على العمل الدبلوماسي ويهدف من جهة ثانية الى إبعاد حركة التحرير الوطني على أن تقاد من الخارج، وبالتالي خضوع المسؤولين في الخارج للمسؤولين الذين يقودون المعركة في الداخل (الشيخ، 2003، صفحة .93).

وهذا ما جعل أحمد بن بلة يكتب الى وفد FLN الداخلي و يعرب عن خيبة أمله لتهميشه من مثل هذا الحدث المهم، وطلب منهم عدم نشر قرارات الصومام حتى تتضح جميع وجهات نظر الإخوة (Johnson, 2016, p. 15).

أما أحمد محساس اعتبر هذا القرار يمسه مباشرة باعتباره أنه كان بالخارج، وهو تنكر لدور القاهرة في دعم الثورة (محساس، 2008، صفحة .12)، هذا المبدأ عارضه الوفد الخارجي ورأوا في ذلك إجحافا في حقهم وتنقيص في مهامهم.

وهذا ما كرس الخلافات بين الداخل والخارج، وازداد التسابق على السلطة وتبلورت الأطماع وعادت الانقسامات ومخلفات ما قبل الثورة وظهرت مراكز قوى أدت إلى اصطدامات وتناقضات كادت تمزق جبهة الثورة (كافي، صفحة .104).

ما جعل سعد دحلب يرد في هذا الشأن ويقول لا توجد حسب ما أعرف أية نصوص أو قوانين تمنع مسؤولا يعمل في الخارج من الرجوع الى الداخل و العودة الى صفوفه وفي تأكيدا لهذا المبدأ وتوضيحه يقول ان في الداخل نقاوم، نقاتل نعلم بمجريات الأمور، نعرف اذا كان في امكاننا التقدم او التراجع، اذا بإمكاننا الصمود أولا ومهما كانت القرارات في اتجاه أو في آخر للحرب او السلم، والقرار لا يمكنه أن يطبق أو يرفض الا في الداخل أو من طرف الداخل (دحلب، د ت، صفحة .31).

في حين رأى محمد تقية أحد ضباط الولاية الرابعة بأن أولوية الداخل قرار حكيم الأولوية تعود للذين يواجهون العدو (Taguia, s d, p. 194)، فهذا المبدأ كان مستحقا بالتأكيد لمواجهة اطماع الخارج وارضى القادة العسكريين والمقاتلين حيث أنه قد مس مكان المواجهة المسلحة .(Meynier, 2003, p. 194)

هذه الأولوية التي نجدها تجسدت مع انعقاد المؤتمر في حد ذاته، فانعقاده بالداخل يعتبر تحدي كبير. وحسب لخضر بن طوبال فإن عبان وبن مهيدي حجتهم في إقرار هذا المبدأ هو معرفة الحقائق بشكل أفضل، ومن السهل القيادة لأن الاتصالات مع الولايات أسهل ويضيف قائلا بالنسبة لي أنا وزيغود لم تكن أولوية الداخل على الخارج مسألة جغرافية بسيطة بل كانت أهم بكثير، فقد تحملنا المسؤولية التي أقسمنا عليها للشعب لنكون معهم والدفاع عنهم وقيادتهم الى الاستقلال .(Djerbal, 2021, p. 318).

وما يلاحظ على هذا المبدأ أنه خلق صراع بين جماعة الخارج بزعامة أحمد بن بلة وبوضياف من جهة وبين جماعة الداخل كريم بلقاسم وبن مهيدي وعبان وبن خدة واستمر هذا الصراع حتى بعد اختطاف طائرة الزعماء الخمسة.

كما جسد مؤتمر الصومام كذلك محاولة تغليب السياسي على العسكري بقيادة الجبهة من خلال المبدأ الذي نص عليه أولوية السياسي على العسكري وإنشاء قيادة تنفيذية كان التفوق العددي ضمنها للسياسيين (بلحاج، 2006، صفحة .12).

وعلى الرغم أن المبدأ صياغته كانت وجيزة، إلا أنه شكل نقطة خلاف بين حاملي السلاح والذين كانوا مجردين منه (خالفة، 2008، صفحة 347)، فقد لاقى معارضة شديدة من طرف عدد من القادة المشاركين في المؤتمر لاعتقادهم بأن عبان وأعضاء لجنة الصياغة الذين كانوا معه، وهم من السياسيين إنما يريدون احتواء الثورة والسيطرة عليها (الزبيري، 1999، صفحة .55).

فحسب علي كافي وهو أحد القادة الذين حضروا المؤتمر عن المنطقة الثانية رفقة زيغود يوسف يرى أن محترفي السياسة وعلى رأسهم عبان رمضان هم الذين كرسوا مبدأ أولوية السياسي على العسكري (كافي، صفحة .103)، وكان هدفهم الاول والاخير القضاء على الثوريين الحقيقيين في مقدمتهم جيش التحرير الوطني صانع أول نوفمبر وتكريس فكرة التفاوض (كافي، صفحة .103)، ومسالمة المعتدلين مع العلم أن عبان رمضان هو من إقترح فرحات عباس المرفوض نضاليا وثوريا حسبه، وكذلك عباس بن الشيخ الحسيني كعضوين أساسيين في مجلس الثورة، فهدف عبان حسب علي كافي العودة بالثورة تدريجيا الى الكفاح السياسي ومواصلة طريقة التفاوض أليس هذا ناقوس الخطر وبداية اللعبة السياسية المنحرفة والانتهازية (كافي)

من خلال تصريح علي كافي نلاحظ أنه أراد القول بأن عبان حول وضعية الوفد الخارجي الى مجرد أعضاء مكلفين بمهمة وابتعد عن الجانب العسكري الثورة من خلال تحالفه مع من لا يؤمن بالثورة أي بالنشاط العسكري.

ويضيف علي كافي قائلا وقد اثبت التاريخ ان قرار أولوية السياسي على العسكري تسبب في شرخ كبير وأليم في صفوف الثورة، فأصبح هناك من يقول انا من جيش التحرير والاخر يقول انا من جهة التحرير، كما فتح الباب للاتصال بالعدو والتفاوض معه دون استشارة رؤساء قادة الولايات (كافي، صفحة .104).

فحسب سليمان الشيخ فإن المبدأ القاضي وأولوية السياسي على العسكري يبرز الصفة السياسية ويكرس خضوع الرؤساء العسكريين المسؤولين السياسيين (الشيخ، 2003، صفحة .93).

ولهذا رأى الزعماء الثوريين واقطاب العمل المسلح ان مثل هذا القرار يعطي الأولوية للطبقة السياسية وهي القراءة التي جعلت زيغود يوسف يقول الاستقلال ممكن لكن الثورة انتهت (عثماني، 2012، صفحة .250)، في حين يذهب لخضر بن طوبال أبعد من ذلك بقوله لم نحمل السلاح إلا كوسيلة سياسية كانت رؤيتنا سياسية اعتبرنا دائما ان الرجل الذي يرتدي الزي العسكري كان ناشطا سياسيا قبل أن يصبح جنديا (Djerbal, 2021, p. 318)، وهذا ما يذهب اليه كذلك يوسف بن خده الهدف

الأساسي لنضالنا سياسي على وجه التحديد وأنه يعبر بقوة عن التطلع إلى الاستقلال الوطني (Ben Khedda, s d, p. 33).

في حين نجد أحمد بن بلة عبر عن رفضه لهذا المبدأ لكونه اعطى حسبه مكانة للسياسيين غير المؤهلين، الذين القى على عاتقهم مسؤولية تدهور الأوضاع السياسية قبل نوفمبر 1954م (عبد القادر، د ت، صفحة 112.)، وهو نفس الموقف أكده ضابط المخابرات المصري فتحي الذيب في كتابه عبد الناصر وثورة الجزائر اذ يقول ان بن بلة أكد له أن الصراع قد بدا بين السياسيين والعسكريين في ظل انتشار مبدأ سياسي وعسكري (الذيب، 1984، صفحة 248.).

ويقول عبد الرزاق شنتوف بشأن الخلاف الذي أثاره المبدأين، بخصوص المبدأين المذكورين أعلاه أنني كنت ممن تحفظوا على الفكرة لسبب واضح، وهو أنني لم أكن لأوافق على تجسيد الحساسيات أو الصراعات في مبادئ (عباس، 2005، صفحة 373.).

لكن السيد عمار بن عودة يذكر أن التخوف المشار إليه سرعان ما تبدد عندما أعطيت التفسيرات التي مفادها أن المقصود بأولوية السياسي على العسكري هو التركيز على التفاوض مع العدو لضبط شروط وقف إطلاق النار، لأن الانتصار العسكري على واحدة من أكبر الدول الاستعمارية في العالم يعد من باب المستحيلات نقريبا، خاصة اذا كانت تلك الدولة عضو فاعلا في الحلف الأطلسي (الزبيري، 1999، صفحة 56.).

أما عن موقف كريم بلقاسم من هذا القرار باعتباره أحد القادة العسكريين نجده في البداية كان متحفظا ولكن فيما بعد سعى لإلغائه في أول دورة للمجلس الوطني للثورة القاهرة 1957م (هشماوي، د ت، صفحة 120.).

وعليه يمكننا القول أن مسألة الأولويات شكلت معضلة حقيقية في مسار الثورة فمثلا أولوية السياسي على العسكري تتناقض مع الجذور العسكرية لمؤسسي جبهة التحرير كانوا أفراد في المنظمة الخاصة على الخارج تتنافى مع الحاجة الدائمة لدعم جيش الخارج لجيش الداخل، وهذا ما أسس للصراع بين السياسي والعسكري والداخل والخارج.

وفي هذا السياق يعتقد ويليام زراتمان أن مسألة الأولويات لم تكن واقعية بالأساس فمبدأ أولوية السياسي على العسكري كان مخالفا للواقع التنظيمي لجبهة وجيش التحرير الوطني حيث أن عدد الأفلانيين خارج جيش التحرير لم يكن بالعدد الكثير مقارنة بالعسكريين أما المبدأ الثاني أولوية الداخل على الخارج فكان مخالفا لواقع معرف بأكثرية جيش الحدود على الجيش الولايات اي الداخل. (Zartman, 1968, p. 269)

3 - إلغاء مبدأ الأولويات و تصفية عبان رمضان:

بعد الانتقادات التي وجهت الى بعض القرارات الصومام والى مهندسه عبان رمضان خاصة ما تعلق بأولوية السياسي على العسكري أولوية الداخل على الخارج وعدم الإشارة إلى الانتماء العربي الإسلامي للجزائر فضلا عن عدم مشاركة العديد من قيادات الثورة في المؤتمر تقرر عقد أول اجتماع للمجلس الوطني للثورة في القاهرة (الزبيري، د ت، صفحة .171).

وفي هذا المقام يذكر يوسف بن خدة أن أول اجتماع للمجلس الوطني للثورة انعقد بالقاهرة من 20 إلى 27 أوت 1957م أي تقريبا سنة بعد انعقاد مؤتمر الصومام وقد حضر هذا الاجتماع ثلاثة وعشرون عضوا من بينهم يوسف بن خدة (حاروش، 2012، صفحة .254).

وكان لاختيار هذا البلد الشقيق دلالة خاصة لما كانت تمثله مصر في تلك الفترة عاصمة لكل القوى العربية التحررية ورمز للنضال العربي وهذا ما سيعطي مزيدا من القوة والمصداقية لكل مؤتمر يعقد هناك.

وقد عقد هذا مؤتمر في ظل الانقسام الهيئة التنفيذية عمليا الى كتلتين الأولى جماعة عبان ومعه بن خدة ودحلب وتعززت بسليمان دهليس قائد الولاية الرابعة في السابق والثانية جماعة كريم بلقاسم الذي تدعم هو الآخر بحلفاء مثل محمود الشريف وبن طوبال وبوصوف (عباس، 2007، صفحة .234)، وعلى الرغم من ذلك فقد وضح المجتمعين بأن هناك بعض الأطراف التي فسرت نتائج وقرارات الصومام بشكل عكسي كما وضحوا بأن الثورة يجب أن تسير في شفافية ووضوح وهو شرط أساسي للحفاظ على وحدة الشعب ما جعل المجلس الوطني للثورة يؤكد على إلغاء مبدأ الأولويات (حاروش، 2012، صفحة .254).

وذلك في الجلسة الختامية للمؤتمر والتي كانت علنية برئاسة فرحات عباس باعتباره الأكبر سنا (تيزي، 2013، صفحة .206)، وقد تجسد البند الذي الغى أولوية السياسي على العسكري في تشكيل لجنة التنسيق والتنفيذ التي أصبحت تضم 14 عضوا 5 شرفيين هم السجناء الخمسة بوضياف، بن بلة، آيت أحمد، بيطاط، خيضر وأربعة سياسيين هم عبان، عباس، دباغين، مهري وخمسة عسكريين هم محمود الشريف، بن طوبال، وكريم وأوعمران وبوصوف وهم قادة الولايات الخمسة وقد تجلت هيمنة العسكريين أكثر في قيام المجلس الوطني للثورة بإنشاء مجموعة متميزة ضمن لجنة التنسيق والتنفيذ سميت باللجنة الدائمة وكانت مهمتها تسيير الشؤون العادية للثورة وضمت العسكريين الخمسة وسياسي واحد هو عبان رمضان وأقصى بن خدة ودحلب من القيادة (بلحاج، 2006، صفحة .18).

وانطلاقا من قرار الغاء مبدأ الأولويات في اجتماع القاهرة يتضح لنا بروز تيار جديد في قيادة الثورة هذا التيار تنازل عن أهم المبادئ التي أقرها المؤتمر الصومام حيث يعتبر أن كل من شارك في كفاح التحرير بالملابس العسكرية او بدونها متساوون لذلك ألغى تقديم السياسي على العسكري والداخل على الخارج (Harbi, 1981, p. 176).

يمكننا القول ان دورة القاهرة حاولت تقليم أظافر عبان رمضان والحد من تطلعه للانفراد بقيادة الثورة وبالتالي احتواء اندفاعه كعضو نشيط من باب الحرص على مبدأ القيادة الجماعية في الثورة.

وهذا ما جعل عبان رمضان يرفض ان يجهض مشروعه أو يغتال طموحه وراح يهدد خصومه بالقول لن نسمح بالأغلبية للعسكريين فيصبحون إقطاعيين مشغلا بذلك صحيفة المجاهد للتنديد بالعسكريين متهما إياهم بالقصور الفكري والسياسي (هلايلي، 2012، صفحة .256).

وظل يناور ويتصرف على أنه القائد الفعلي للثورة وهذا ما أثار حفيظة بوصوف وبن طوبال وكريم بلقاسم حيث اتهموه بالاتصال سريا بالعدو قصد التفاوض معه (الزبيري، 1999، صفحة .172).

وفي هذا السياق نجد تصريح لي روجي ويبو يقول فيه أن قائد ولاية الجزائر الكبرى الذي كان يعمل لصالحنا والذي كان يتحكم في الجيش من خلاله لقي نهاية مأساوية بعد أن اكتشف أمره من طرف رفقائه فقاموا بقتله (Wybot, 1957, p. 450).

وعليه فمصير عبان رمضان تقرر ما بين 15 و 20 ديسمبر بإجماع زملائه في اللجنة الدائمة للثورة أي كريم وبوصوف وبن طوبال وأوعمران بعد استشارة وموافقة عدد من المسؤولين الآخرين أمثال بن بلة من القادة السجناء وكل من العقيدين محمدي السعيد وعميروش من الولاية الثالثة والعقيد هواري بومدين من الخامسة (عباس، 2007، صفحة 244)، فالاجتماع الوحيد الهام الذي تحدث عنه بن طوبال وأكده كريم بلقاسم ومحمود الشريف ونظر الثلاثة لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليالي في قضية عبان كان في تونس في منتصف شهر ديسمبر 1957م أثناء هذا الاجتماع تم اتخاذ قرار إرسال عبان رمضان إلى المغرب لحبسه في السجن قصد اعدامه (Mameri, s d, p. 83)، وقد استدرج الى المغرب بواسطة برقية وهمية من مصالح بوصوف تستقدم بعض أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ اسميا لتسوية مشاكل طارئة مع السلطات المغربية ورافقه في رحلته الأخير كريم بلقاسم ومحمود الشريف، حيث نزل الثلاثة بمزرعة تابعة لجبهة التحرير بضواحي تطوان، وهناك وجدوا بوصوف ورجاله الذين تولوا تنفيذ الحكم الجماعي خنقا، وتم دفن الضحية بنفس المزرعة التي كانت تستخدم كذلك لحبس المعارضين والمشوشين (عباس، 2007، صفحة .245).

تسببت تصفية عبان رمضان في أزمة حادة داخل لجنة التنسيق والتنفيذ وعطلت أشغالها أكثر من شهر، إثر تفطن أعضائها السياسيين دباغين لمين، فرحات عباس، عبد الحميد مهري للأمر، وإصرارهم على توقيع وثيقة تبرأ ساحتهم مما حدث ولم تستأنف اللجنة اجتماعاتها مضطرة إلا بعد العدوان الفرنسي على ساقيت سيدي يوسف في 8 فيراير 1958 (عباس، 2007، صفحة .245).

وعقب تجازو الأزمة وإعادة توزيع المهام بين أعضاء اللجنة الباقين استدعى كريم بلقاسم ومحمود الشريف أحمد بومنجل المشرف على جريدة المجاهد الناطقة بالفرنسية، وسلماه بلاغا لنشره حرفيا كان ذلك بعد تمام 5 أشهر في عدد 29 ماي 1958، من المجاهد الذي تصدر صورة الفقيد مع تعليق استشهاده في معارك بالمناطق الحدودية (عباس، 2007، صفحة .245).

وبهذا يعد عبان رمضان أول ضحية للصراع الذي شهدته الثورة الجزائرية بين قادتها، ذلك الخلاف الذي نجده يستمر طيلة عمر الثورة الجزائرية.

وعلى هذا الأساس يمكننا القول أن عبان رمضان اغتيل على مذبح السلطة وليس هو الأول والأخير من لقي هذا المصير، وإذا صح القول بأن الثورة تأكل أبناءها فإن الثورة الجزائرية تبدوا ثورة عملاقة بهذا المقياس لأنها أكلت الى حد التخمة ومهما يكن فالعبرة بالنتيجة ويظل الحكم النهائي للتاريخ وحده هو سيد الموقف في مثل هذه القضايا الدقيقة (عباس، 2010، صفحة .146).

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة يمكن أن نستنتج ما يلي:

- أن انعقاد مؤتمر الصومام داخل الجزائر ووسط المخاطر يعتبر في حد ذاته رمز للتحدي وتتويجا لانتصارات سياسيه وعسكريه ومنطلق جديد لتحديات كبرى وان حصل إجماع على أهمية الملتقى كحدث تاريخي، إلا أن بعض قراراته لم تحظى بالإجماع وتعرضت لانتقادات وهذا ما جعل كثير من قضاياه مثار جدل والنقاش.
- أن الدافع الاقرب الى الموضوعية في التأكيد على مبدأ الأولويات أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج يمكن في تعدد الخلفيات منها التركيبة البشرية والايديولوجية غير المتجانسة التي عرفها الصمام اضافة الى الخلفية التاريخية والسياسية ودورها في إعادة بعث هذا الصراع.
- مبدأ الأولويات لم يغذي الصراع بشكل كبير لأن الصراع بين قيادة الثورة كان متجذرا في فكرهم قبل ذلك ولكن زادت حدته مع الصومام بسبب ظهور مؤسسات الثورة بغية القيادة والتزعم وبذلك صار الصراع على مصراعيه داخل الثورة بين ما هو سياسي وما هو عسكري من جهة وبين الداخل والخارج من جهة أخرى هذه الصراعات وصلت أحيانا إلى استعمال العنف.
- أولوية السياسي على العسكري كانت بمثابة أول تصور سياسي تجاوز تفكير الثورة مقدما مشروع لما بعد الاستقلال بفضل أفكار تعطي الأولوية للسياسي المثقف على حساب العسكري.
- تعددت آراء قادة الثورة بين مؤيد ومعارض لقرار مبدأ الأولويات وهذا ما خلق صراع بين الداخل والخارج وبين السياسي والعسكري وبالتالي شكلت هذه المسألة معضلة حقيقية في مسار الثورة وأدت الى حد التصفية الجسدية لبعض القادة.
- مؤتمر القاهرة حاول تقليم أظافر عبان رمضان ومكن من تغليب العسكريين على السياسيين بإسقاط مبدأ الأولويات الذي أقره الصومام غير أنه امتزج بنقاط صنفها الكثير من الباحثين والمؤرخين ضمن إطار الصراع على السلطة.

وعليه أرضية الصومام وقراراته بقدر ما كانت ميثاقا أوجد للثورة منهجا ووحد قياداتها وأعطاها برنامج سياسي وعسكري وثقافي واجتماعي بقدر ما انتج معارضة وخلافات بين قاداتها، هذا المؤتمر نجده أثار بمبادئه خصومة كانت موجودة مسبقا وزرع انشقاق من حسن الحظ أنه بقي حبيس القيادة.

قائمة المصادر والمراجع :

1 – باللغة العربية :

1) إحدادن زهير. (2007). المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية. د ط. الجزائر. مؤسسة إحدادن.
2) بلحاج صالح. (2006). أزمات جبهة التحرير الوطني وصراع السلطة 1956-1965م. الطبعة الأولى. الجزائر. دار قرطبة.
3) بلحسين مبروك. (2004). مراسلات الثورة الجزائرية بين الجزائر والقاهرة 1954-1956م. ترجمة الصادق عماري. د ط. الجزائر. دار القصبة.
4) بن خدة بن يوسف. (2004). شهادات ومواقف. د ط. الجزائر. دار النعمان.
5) بوعزيز يحي.(2004). الثورة في الولاية الثالثة أول نوفمبر 1954م- 19 مارس 1962م. الطبعة الأولى. الجزائر. دار الأمة.
6) تيزي ميلود. (2013). مواقف قادة الثورة من مؤتمر الصومام وتداعياتها. الطبعة الأولى. الجزائر. مكتبة الرشاد للطباعة والتوزيع والنشر.
7) جيار الهاشمي. (د ت). مؤتمر الصومام الفعل المؤسس بحلوه ومره. ترجمة يوسفي حضرية. د ط. الجزائر. منشورات ANEP .
8) حاروش نورالدين. (2012). مواقف بن يوسف بن خدة النضالية والسياسية قراءة في تاريخ الجزائر الحديث. د ط. الجزائر. شركة دار الأمة.
9) حربي محمد. (1983). جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع. ترجمة قيصر داغر كميل. الطبعة الأولى. لبنان. مؤسسة الأبحاث العربية.
10) خالفة معمري.(2008). عبان رمضان. تعريب زخروف زينب. الطبعة الثانية. الجزائر. منشورات تالة.
11) خثير عبد النور. (2006-2005). تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية 1954-1956. أطروحة دكتوراه في التاريخ. الجزائر. جامعة الجزائر 2.
12) الذيب فتحي. (1984). عبد الناصر والثورة الجزائرية. الطبعة الأولى. مصر. دار المستقبل العربي.
13) الزبيري الطاهر. (د ت). مذكرات آخر قادة الأوراس التارخيين 1929-1962م. د ط. منشوراتANEP .
14) الزبيري محمد العربي. (1999). تاريخ الجزائر المعاصر 1954-1962م. ج 2. د ط. منشورات إتحاد الكتاب العرب.
15) زروال محمد. (2007). إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية الولاية الأولى أنموذجا. د ط. الجزائر.
16) زغيدي محمد لحسن. (د ت). مؤتمر الصومام وتطور الثورة التحريرية الجزائرية. د ط. الجزائر. دار هومة.
17) زوزو عبد الحميد. (2004). محطات في تاريخ الجزائر.د ط. الجزائر. دار هومة.

18) سعد دحلب. (د ت). المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر. د ط. دحلب.
19) الشيخ سليمان. (2003). الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين دراسة تحليلية في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة. ترجمة الجمالي حافظ. الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية طبعة خاصة بإذن من دار القصبة.
20) عباس محمد. (2005). ثوار عظماء. الطبعة الأولى. الجزائر. دار هومة.
21) عباس محمد. (2007). دوغول والجزائر. د ط. الجزائر. دار هومة.
22) عباس محمد. (2010). خصومات تاريخية. د ط. الجزائر. دار هومة.
23) عباس محمد.(2007). نصر بلا ثمن الثورة الجزائرية 1954-1962م. د ط. الجزائر. دار القصبة.
24) عبد القادر حميد. (د ت). عبان رمضان مرافعة من أجل الحقيقة. د ط. منشورات الشهاب.
25) عثماني مسعود. (2012). الثورة الجزائرية أمام الرهان الصعب. د ط. الجزائر. دار الهدى.
26) كافي علي. (د ت). مذكرات من المناضل السياسي الى القائد العسكري 1946-1962م. د ط. الجزائر. دار القصبة.
27) لونيسي إبراهيم.(2015). الصراع السياسي داخل جبهة التحرير الوطني خلال الثورة 1954-1962م. د ط. الجزائر. دار هومة.
28) لونيسي رابح. (د ت). الجزائر في دوامة الصراع بين العسكريين والسياسيين. د ط. الجزائر، دار المعرفة.
29) محساس أحمد. (2008-09-10). جريدة صوت الأحرار. العدد 3184.
30) المدني أحمد توفيق. (2009). حياة كفاح مع ركب الثورة.ج 3. د ط. الجزائر. دار البصائر.
31) مهري عبد الحميد. (2006-09-21). جريدة الخبر. العدد 4814.
32) هشماوي مصطفى. (د ت). جذور نوفمبر 1954م في الجزائر. د ط. منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م.
33) هلايلي محمد الصغير. (2012). شاهد على اغتيال الثورة في الأوراس. د ط. الجزائر. دار القدس العربي.
34) واعلي عبد العزيز. (2011). أحداث ووقائع في الثورة التحريرية بالولاية الثالثة. تقديم الحسني أمقران عبد الحفيظ. د ط. الجزائر. دار الجزائر.

2 – باللغة الأجنبية :

1) ben khedda ben youcef. (s d). abone- ben mhidi leur apporte révolution algérienne. edition dahleb.
2) djerbal daho. (2021). La khadar bentobal mémoires de l'interieur. Edition chihab.
3) harbi mohamed. (1981). les archives de la revolution algérienne. preface de charles robert ageron. Paris. les edition, jeunes afrique.
4) johnson Jennifer. (2016). the battle for algeria sovereignty health care and humanitariamism. university of pennsylvania press Philadelphia.
5) Mameri khalf. (s d). aben ramdane le faux proces.
6) meynier gilbert. (2003). histoire intérieure de FLN 1954-1962. preface de mohamed harbi. Alger. Edition casbah.
7) stora ben jamin.(1989). nationalisme parcour idéologiques les sources de algérien origines des actes. Paris. l'harmattan.
8) teguia mohamed. (s d). l'Algérie en guerre. Alger. OPU.
9) wybot riger. (1957). la bataille pour la P.S.T. propos recueillis par philippe bernert. presses de cité.
10) zartman william. (1968). l'armée dans la politique algérienne in charles debbasch bruno etienne sous la responsabilité de annuaire de l'afrique du nord paris centre national de la recherche scientifique. centre de recherche sur l'Afrique méditerranéenne, Edition du CNR